

وتقع الحال مشتبهة بالخبر والصفة ؛ ذلك انها تستعمل على انحاء تحتمل الحال والخبر حيناً، وتحتمل الحال والصفة حيناً آخر . وهذا يؤيد ما لاحظتته النحويون من الشبه بين الحال والخبر والنعت من وجوه أخرى (251) . ولكنه ، هنا ، ذو أهمية استدلالية خاصة ؛ لان الحال المشتبهة بالخبر ؛ والحال المشتبهة بالصفة جاءتا نغياً ، فاذا كان ذلك كذلك دل على ان نفي الحال مثل نفي الخبر ونفي الصفة وليس النفي في الخبر والصفة بمحل إنكار !

فمن وقوع الحال منفية مشتبهة بخبر منفي :

- ما روي « عن جابر رضى الله عنه قال : جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني وانا مريض لا اعقل فتوضاً وصتب علكي من وضوئه فعملت » (252).

- وما روي « عن معاوية رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ، وانا انا قاسم والله عز وجل يعطى . ولن تزال هذه الامة قائمة على امر الله لا يضرهم من خالفهم حتى ياتي امر الله » (253) ومن وقوع الحال منفية مشتبهة بصفة منفية :

نامية ذات امتداد . وواضح في ضوء التحليل ان جمل الحال المنفية في الشواهد والامثلة التالية تردت بمد اطراح النواسخ الى جمل منفية بسيطة : اسمية او فعلية ، ومن امثلة هذه الظاهرة ذات الدلالة الاضافية الخاصة :

- في التنزيل : (فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً ؟) (244)

- وفي مقامات البديع : « .. ينصت وكأنه يفهم ، ويسكت وكأنه لا يعلم » (245)

- وفي زقاق المدق : « .. امله وكأنه لم يعد يشعر له بوجود » (246)

- وفي نقداً عابراً : « .. تزكته . (..) وكانها لم تفعل .. » (247) .

- وللطبيب صالح : « ذهب محجوب كأنه لم يسمع » (248) .

- ولغدوى طوقان :

ويبيضى (249) كما

كان ، كان لم تنه محنة (250)

(244) النساء 78

(245) شرح مقامات بديع الزمان ص 11

(246) ص 203 ، وانظر امثلة اخرى في زقاق المدق : ص 237 ، 89، 8 ، 133 ، 174 ، 183 ، 193 ، 172 ، 219

(247) ص 62

(248) بندرشاه ضو البيت ص 13

(249) الفصن وفقاً للسياق

(250) وجدتها ص 38

(251) انظر : كتاب سيوييه (هارون) 49/2 والمتنضب 261/3 وواضح المسالك 96/2 والتوضيح

والتكميل لشرح ابن عقيل 464/1 .

(252) التجريد الصريح 26/1

(253) المصدر السابق 16/1

— « فنظرت الى تحت ، فرأيت الشاب المتلبط
الجريدة ، وما زال يحمل ناسه » (260) .

ولعل من هذا الباب ، في دلالاته على أصالة النفي
في الحال وامتداداته وتظلمه ، وتوعج جملة النفس
المنتفض نفيها بيلاً حالاً ، وذلك كما في :

— (.. خرج في سبيله لا يُخْرِجُهُ إِلَّا إِيمَانٌ بِي
وتصديق برسلي ..) (261) .

— (عن عائشة رضی الله عنها قالت : خرجنا
لا نرى إِلَّا الحجج ..) (262) .

— « ثم جاء الخلف فزادوا هذه البحور شيئاً
فشيئاً لا يهديهم في الابتكار إِلَّا الاذن
الموسيقية » (263) .

— « تركته معلّماً بحبال الهواء لم تدع له الا
رسالة من ثلاثة أسطر .. » (264) .

— وسنبقي هناك نمشى ولا نعلم الا شيئاً
يحسّه قلبانا (265)

ولعل من هذا أيضاً ما أرى من وتوعج الحال منفية
مسبوقة بشرط ؛ فاني أرى فيها يلي جملاً حالية :

— (.. فكروا أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال : اغتسلوا يوم الجمعة واغسلوا
رؤوسكم وأن لم تكونوا جنباً ..) (266) .

— قوله تعالى : (لاثنين فيها احتجاباً ، لا يذوقون
فيها برداً ولا شرباً) (254) .

— وفي الاثر : (.. مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وَضُوئِي
هَذَا ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ لَا يَحْدُثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ خُفِّرَ لَهُ
مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ) (255)

— وفيه : (عن أبي سعيد الخدري رضي
الله عنه أنه قال : تَمَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ
اشْتِمَالِ السَّمَاءِ وَأَنْ يَحْتَبِي الرَّجُلُ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ لَيْسَ
عَلَى فَرْجِهِ مِنْ شَيْءٍ) (256) .

— وفيه : (عن عتبة بن عامر رضي الله عنه
قال : تَلَّنَا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنْكَ
تَبِعْنَا فَنَنْزِلَ بِقَوْمٍ لَا يَغْرُونَ ..) (257)

— 3 —

ومن مظاهر أصالة النفي في الحال انها تتخذ
صيفاً ظاهرهما النفي ولكنها استحالت انباطاً ثابتة
دلالتها الايجاب . ومن ذلك وتوعج جملة (لا
تلوي) (258) حالاً على سعة وكثرة ، كما تقدم في
وتوعج الحملة النعلية المنفية — (لا) حالاً . ومنه
وتوعج جملة (ما زال) حالاً ، كما في :

— مَرَّ عَامَانٌ وَمَا زَالَ الْهَوَى حُلْمًا غَرِيبًا (259)

254) النبا 3 — 24 . وانظر في احتمال (لا يذوقون) الحال من ضمير (لاثنين) والنعمة لـ (احتجاب) :

مشكل اعراب القرآن 451/2

255) التجريد الصريح 24/1

256) المصدر السابق 38/1

257) المصدر نفسه 149/1

258) انظر في بعض امثلتها تذكره : زقاق المدق ص 19 ، 85 ، 92 ، 218

259) وجدتها ص 173

260) الوقائع الغريبة ص 205

261) التجريد الصريح 11/1

262) المصدر السابق 31/1

263) فيض الخاطر 23/10 ، وانظر مثله في المرجع نفسه 90/10

264) نقداً عابراً ص 58

265) وجدتها ص 52

266) التجريد الصريح 70/1

نظرات في تعاقب النفي والاثبات

وإخال ما تقدم ، على مستوى القواعد والسماع والاستعمال ، ينهض دليلاً ثابتاً على أنّ الحال ، في العربية ، تقع منفية بغلبة ظاهرة .

ولكنه يبدو لي أيضاً ، على مستوى النظر ، أنّ مجيء الحال منفية ظاهرةً نحويةً شأنها شأن سائر الظواهر النحوية في أنها تنضبط بأصول . ويبدو لي ، في ضوء التحليل ، أنّ أهمّ الأصول التي تنضبط بها هذه الظاهرة أصلاً : أولهما عاملُ الحال وخاصةً دلالتُه ووجّهُ العلاقة بينها وبين دلالة الحال ؛ هل تجريان معاً على وجه الإيجاب ثم على وجه السلب أم بين بين . والثاني : السياق ، سياق الجملة في النصّ أو في الموقف الكلامي .

فمن أمثلة الأصل الأول أننا نقول :

— لبت حيناً يتكلّم

— لبت حيناً لا يتكلّم

على مستوى واحد من القبول لجريان دلالة (اللبث) مع حال التكلم وعدمه . وكذلك نقول :

— ما بال أخيك يهادن كلّ أحد ؟

— ما بال أخيك لا يهادن أحداً ؟

على مستوى واحد من الصواب الساتع ؛ لجريان هذا الضرب من السؤال مع التميميم نفيًا وإثباتًا .

ونقول :

— صامحته بيكي

ثم نستبدل بالفعل (عهدته) فنقول :

— عهدته لا بيكي

— أولي وفاة وإن لم تبذلي صلة ... (267)

« .. ومن أجل هذا أمكن الأديب إذا عرض عليه نوع من الأدب ، أن يعرف عصره ولو لم يعرف تأله .. » (268)

وأرى حرف الشرط (إن ، لو) يفيد في الحال المنفية معنى إضافيًا .

أما منع النحويين لوقوع أداة الشرط في جملة الحال (269) فأغلب الظن أن مرجعه إلى اعتبارهم أداة الشرط دليل استقبال يفاير زمانها زمن عامل الحال ولا يجري معه . والحق أنّ ملحظ الزمان ليس مطلقاً في العربية ؛ ذلك أنه يتعين وفقاً للملابسات والترانن التي تكتنف الفعل وعبارته (270) .

ولعل ما يؤيد القول بالحالية في الجمل المتقدمة أنّ أبناء العربية سيفنون الجمل التالية ، كل جملتين على حدّ سواء (271) :

1 — هل يحضّر (...) ولم يدع ؟

2 — هل يحضّر (...) وإن لم يدع ؟

*

3 — سيتخرّج (...) هذا العام ولم يبلغ العشرين .

4 — سيتخرّج (...) هذا العام وإن لم يبلغ العشرين .

ويلحظون الحالية في الأولى والثالثة ، ويلحظون الحالية مع معنى إضافي في الثانية والرابعة .

(267) المختارات السائرة ص 126 ، وهو صدر بيت لابن زيدون

(268) نفيض الخاطر 2/10

(269) انظر في هذا : النحو الوافي لعباس حسن 311/2

(270) وانظر في هذا : الفعل زمانه وأبنيته لإبراهيم الساراني 34 ، 52

(271) ويمكن لأبناء العربية ، ببسر السليقة ، أن يستظهروا لكل من هذه الجمل سياقاتاً مخصوصاً مناسباً .

فتكون الجملتان سواء في الاستقامة على مقياس العربية ؛ نظرا لاختلاف الفعل من تلك الجهة، جهة الدلالة وانسجامها بين الفعل والحال .

وعلى هذا يسوغ لنا ان نقول على حد سواء في التبول :

— عاش حياته يقدر على كل ما يريد .

— سقط على الأرض لا يقدر على الحركة .

فاذا بدا لبعض الناس ان جملة (جاء - لا يبكي) على هذا النحو المجرى تجعل الحال المنفية كأنها لا تنطوي على اية فائدة فلا يسوغ فيها وقوع الحال نفيا ، فانه يبدو لنا ان الاتساع بهذه الجملة الى سياق مخصوص يجعلها صحيحة تماما ، مفيدة فائدة تامة ، مقبولة بلا تحفظ . فمثلا : اذا كان الابوان في معرض الحديث عن ولدهما ، اول عهده بالمدرسة وانه كان يعود منها باكيا في كل مرة ، وقال احدهما في معرض المراجعة والتذكير : هل حدث انه عاد يوما من المدرسة لا يبكي ؟ كان وقوع الحال نفيا في جملة من هذا السياق هو الوجه ، عربيا جيدا .

ومن امثلة هذا الاصل الثاني ، السياق ، اننا نقول في موقف معين :

— ثم عاش (٠٠) ، سائر عمره ، يسمع انتقادات الناس لحكمه فلا يحير جوابا .

ونقول ، في سياق آخر يسهل تصويره :

— وعاش (٠٠) بينهم لا يسمع إشارة الى ما فرط منه البتة . وكذلك نقول على تعاقب سياقين :

— ثم اقامت (٠٠) بعد ذلك نهرا تبكي اخوتها .

— واثامت (٠٠) فيهم لا تبكي ، تجلدا واقتناصا للخبر عن القاتل .

ونقول ايضا :

— اقام (٠٠) فيهم يسأل عن كل صغيرة وكبيرة .

— اقام (٠٠) فيهم لا يسأل عن شيء .

بله إنه - في نطاق بعض التراكيب النمطية - يعانى الاثبات ما يعانى النفي من التحفظ عليه وعدم مساعته في جمل محدودة موضوعة على التحكم خارج سياق كامل . فمن ذلك اننا نقول :

— دخل البيت يجبر رجله

مقبولا مستساغا ، فاذا قلنا :

— دخل البيت لا يجبر رجله

كان ذلك - بهذا الاقتضاب - كالاخبار بما لا داعى له ولا فائدة منه . لكننا نقول بازاء ذلك :

— دخل البيت لا يقوى على التقاط انفاسه ، سائغا مقبولا ، فاذا قلنا :

— دخل البيت يقوى على التقاط انفاسه ، كان كمثل تحصيل الحاصل فصولا مستقبحا مردولا .

وقد اجتهدت ان امتحن قياسية وقوع الحال نفيا ، فاتخذت طائفة من الاعمال تتراوح بين اعمال الحس (تذوق ، استمع ، نظر ، تحسس ، شم) وانعمال العلاج في اتجاهات مختلفة (رفع ، خفض ، وقف ، سار ، انحنى) وانعمال العلاج في الصنائع (حرث ، زرع ، نسج) ، وتستوعب امثلة من الفعل ماضيا مجردا (نظر ، شم ، رفع ، خفض ، الخ) ومزيدا (انفس ، قوض ، اندفع ، انتهر ، استقبل) ومضارعا مجزّدا (يلعن ، يأمن) ومزيدا (يُسَلِّم ، ينطلق ، يستأنن ، يتساءل) . وأقمت على هذه الاعمال جملا جهدت ان اضعها الحال مفردة وجملة وشبه جملة على وجهي الاثبات والنفي في كل ، وفقا لما تهدي اليه قواعد النحو ، ومعطيات السليقة العربية واللف الاستعمال الجاري ، فاستوى لي من ذلك الجمل التالية :

(1) — تذوق (٠٠) الطعام يقصد الى انتقاد طابخه

— تذوق (٠٠) الطعام لا يقصد الى انتقاد طابخه

— تذوق (٠٠) الطعام كلفنا به

— تذوق (٠٠) الطعام لا كلفنا به

— تذوق (٠٠) الطعام بشهية

— تذوق (٠٠) الطعام بلا شهية

(2) — استمع (٠٠) الى المعزوفة وهو يعرف انها مسروقة

— استمع (٠٠) الى المعزوفة وهو لا يعرف انها مسروقة

— استمع (٠٠) الى المعزوفة مستغربا

— استمع (٠٠) الى المعزوفة غير مستغرب

— استمع (٠٠) الى المعزوفة بتنبه

— استمع (٠٠) الى المعزوفة بلا تنبه

- (8) - وقف (٠٠) يتلفَّت
 - وقف (٠٠) لا يتلفَّت
 - وقف (٠٠) متحدِّثا
 - وقف (٠٠) لا متحدِّثا بل ملتصقا شيئا من
 الراحة
 - وقف (٠٠) في دهشة
 - وقف (٠٠) في غير دهشة

- (9) - سار (٠٠) متبَهِّلا
 - سار (٠٠) لا متبَهِّلا بل متبَهِّلا
 - سار (٠٠) يقصد التمرين
 - سار (٠٠) لا يقصد التمرين
 - سار (٠٠) وقد توقفت السيَّارات
 - سار (٠٠) ولما توقفت السيَّارات

- (10) - انحنى (٠٠) متواضعا
 - انحنى (٠٠) لا متواضعا بل مهتبلا فرصة غدر
 - انحنى (٠٠) يقصد الاعتذار
 - انحنى (٠٠) لا يقصد الاعتذار
 - انحنى (٠٠) بادب
 - انحنى (٠٠) بلا ادب

- (11) - حرث (٠٠) أرضه وهو يؤمل أن يأكل من
 ثمرها
 - حرث (٠٠) أرضه وهو لا يؤمل أن يأكل من
 ثمرها
 - حرث (٠٠) أرضه بأهل
 - حرث (٠٠) أرضه بلا أمل
 - حرث (٠٠) أرضه مستمتعا
 - حرث (٠٠) أرضه لا مستمتعا بل ملتزما بحقها
 عليه

- (12) - زرع (٠٠) أرضه مُستَنبِجها
 - زرع (٠٠) أرضه لا مستنبحها بل مُستمتعا
 بزرعها
 - زرع (٠٠) أرضه ينتظر المطر
 - زرع (٠٠) أرضه لا ينتظر المطر
 - زرع (٠٠) أرضه بعناية
 - زرع (٠٠) أرضه بلا عناية

- (13) - نسج (٠٠) الثوب مهتئا بإنتاجه
 - نسج (٠٠) الثوب لا مهتئا بإنتاجه بل مضنيا
 بسرعة إنجازه

- نظر (٠٠) إليه وقد اقتحم الباب
 - نظر (٠٠) إليه ولما يقتحم الباب
 - نظر (٠٠) إليه باستخفاف
 - نظر (٠٠) إليه بغير استخفاف
 - نظر (٠٠) إليه متسائلا
 - نظر (٠٠) إليه لا متسائلا ، بل مستجيبا

- (4) - تحسَّن (٠٠) جسمه متألِّما
 - تحسَّن (٠٠) جسمه لا متألِّما بل متقدِّداً
 موضع الاصطبة .
 - تحسَّن (٠٠) جسمه يعرف أن به إصابة بليغة
 - تحسَّن (٠٠) جسمه لا يعرف أن به إصابة
 بليغة
 - تحسَّن (٠٠) جسمه بتراخ
 - تحسَّن (٠٠) جسمه بلا تراخ

- (5) - شمَّ (٠٠) البرتقالة مختبئا
 - شمَّ (٠٠) البرتقالة لا مختبئا بل محزوناً
 - شمَّ (٠٠) البرتقالة يعرف أنها خرجت من
 أرضه
 - شمَّ (٠٠) البرتقالة لا يعرف أنها خرجت من
 أرضه
 - شمَّ (٠٠) البرتقالة بسعادة
 - شمَّ (٠٠) البرتقالة بلا سعادة

- (6) - رفع (٠٠) يده يمي أن هذه الحركة تجمل
 خصمه يجنل .
 - رفع (٠٠) يده لا يمي أن هذه الحركة تجمل
 خصمه يجنل .
 - رفع (٠٠) يده فاضبا
 - رفع (٠٠) يده لا فاضبا ولا محيئا
 - رفع (٠٠) يده بمصيبة
 - رفع (٠٠) يده بلا مصيبة

- (7) - خفَضَ (٠٠) بصره مستحييا
 - خفَضَ (٠٠) بصره لا مستحييا بل خجلا
 - خفَضَ (٠٠) بصره يفكر في شيء
 - خفَضَ (٠٠) بصره لا يفكر في شيء
 - خفَضَ (٠٠) بصره وأثناء تسمان
 - خفَضَ (٠٠) بصره وأثناء لا تسمان
 - خفَضَ (٠٠) بصره باستحياء
 - خفَضَ (٠٠) بصره بلا استحياء

- نسج (٠٠) الثوب يلتفت يمنة ويسرة
 — نسج (٠٠) الثوب لم يلتفت يمنة أو يسرة
 — نسج (٠٠) الثوب بأصول
 — نسج (٠٠) الثوب بلا أصول
- استقبل (٠٠) ضيفه لم يجامله
 — استقبل (٠٠) ضيفه على محيآه مسحة من
 كآبة
 — استقبل (٠٠) ضيفه ليس على محيآه مسحة
 من كآبة

- (14) — أفلس (٠٠) يائسا
 — أفلس (٠٠) لا يائسا بل متحفظاً لئنداركِ ما
 قرط منه
 — أفلس (٠٠) وهو يدرك أسباب إفلاسه بوضوح
 — أفلس (٠٠) وهو لا يدرك أسباب إفلاسه
 بوضوح
 — أفلس (٠٠) بكرامة
 — أفلس (٠٠) بلا كرامة

- (15) — تؤوض (٠٠) أركان النظرية يلتبس نظرية
 أشمل
 — تؤوض (٠٠) أركان النظرية لا يلتبس نظرية
 أشمل ..
 — تؤوض (٠٠) أركان النظرية قاصدا إلى الهدم
 — تؤوض (٠٠) أركان النظرية لا قاصدا إلى الهدم
 — تؤوض (٠٠) أركان النظرية في رفق
 — تؤوض (٠٠) أركان النظرية في غير رفق
- (20) — يامن (٠٠) الدنيا غاملا
 — يامن (٠٠) الدنيا لا غاملا بل مسلما لنواميسها
 — يامن (٠٠) الدنيا وهو في أهله وولده .
 — يامن (٠٠) الدنيا وليس في أهله وولده
 — يامن (٠٠) الدنيا عن عقيدة
 — يامن (٠٠) الدنيا عن غير عقيدة .

- (21) — يُسَلِّمُ (٠٠) على أتداده مستعليا
 — يُسَلِّمُ (٠٠) على أتداده لا مستعليا بل جاريا
 على عادته
 — يسلم (٠٠) على أتداده وهو يعرف أثر طريقته
 في السلام في أنفسهم .
 — يسلم (٠٠) على أتداده وهو لا يعرف أثر
 طريقته في السلام في أنفسهم
 — يسلم (٠٠) على أتداده بثقة
 — يسلم (٠٠) على أتداده بلا ثقة
- (16) — اندفع (٠٠) متهورا
 — اندفع (٠٠) لا متهورا
 — اندفع (٠٠) يطمع أن يظهر بشيء
 — اندفع (٠٠) لا يطمع أن يظهر بشيء
 — اندفع (٠٠) يتمكن
 — اندفع (٠٠) بلا تمكن

- (17) — انتهب (٠٠) الفرصة مستغلا
 — انتهب (٠٠) الفرصة لا مستغلا بل مجتهدا
 مستغيا
 — انتهب (٠٠) الفرصة يردّ حقًا لمظلوم
 — انتهب (٠٠) الفرصة لا يردّ حقًا لمظلوم
 — انتهب (٠٠) الفرصة على نيّة خبيثة
 — انتهب (٠٠) الفرصة على غير نيّة خبيثة
- (22) — ينطلق (٠٠) الى غايته يتمتر
 — ينطلق (٠٠) الى غايته لا يتمتر
 — ينطلق (٠٠) الى غايته بخطة محكمة يضمها
 — ينطلق (٠٠) الى غايته بلا خطة محكمة يضمها
 — ينطلق (٠٠) الى غايته جادا
 — ينطلق (٠٠) الى غايته غير جادا

- (18) — استقبل (٠٠) ضيفه فاترا متثاقلا .
 — استقبل (٠٠) ضيفه لا فاترا ولا متثاقلا
 — استقبل (٠٠) ضيفه بفتور وثاقلا .
 — استقبل (٠٠) ضيفه بلا فتور ولا ثاقلا
 — استقبل (٠٠) ضيفه يجامله
- (23) — يستاذن () في الدخول متاذبا
 — يستاذن (٠٠) في الدخول لا متاذبا بل متهكما
 — يستاذن (٠٠) في الدخول يتوقع أن يؤذن له
 — يستاذن (٠٠) في الدخول لا يتوقع أن يؤذن له

- وفي الخبر عن كسرى ابو شروان انه قيل له: « ما بال الرجل يحبل الحمل الثقيل فيحتمله ولا يحتمل مجالسة الثقلاء ؟ .. » (275).
- وفي عبارة احمد امين : « وتمعصب قويم للتقديم يفودون عنه ويحافظون عليه ، ولا يسمحون بأي تغيير فيه » (276).

ومع ان النفي هنا يأتي عقب الاثبات ولا يأتي حالا ابتداءً فإنه يأتي قريع الاثبات من جهة ويصلح لأن يقع حالا من غير ان يتكء على الاثبات . ويمكن لنا ان نمحن ذلك باطراح المثبت مما تقدم ، واذن تبقى النصوص هكذا : (ألقوا في الحرّة .. لا يُشَقُونَ) (الا تعجبون ممن ينام .. ولا يرجو الفوت) (ما بال الرجل .. لا يحتمل مجالسة الثقلاء ؟) (وتمعصب قويم للتقديم .. لا يسمحون بأي تغيير فيه) .

وقد عرّض التقابل بين الاثبات والنفي ، على مستوى الاستعمال الجاري في العربية ، بصورة مطلقة وذلك في مواضع اكتملت لها الشروط الدلالية والسياتية .

وتتخذ الحال في هذه المواضع أنحاء مختلفة ؛ فمنها أنها جاءت جملة فعلية منفية بإزاء جملة فعلية مثبتة ، كما في الحديث :

- (عن ابي ذرّ رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اتاني آت من ربي فاخبرني ، او قال بشرني انه من مات من أمّتي لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ، قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ قال : وإن زنى وإن سرق) .
- (عن عبد الله رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من مات يشرك بالله شيئاً دخل النار ، وقلت أنا : من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة) (277) .

— يستأنن (..) في الدخول بأدب

— يستأنن (..) في الدخول بلا أدب .

- (24) — يتساءل (..) عن السبب متجاهلاً
- يتساءل (..) عن السبب لا متجاهلاً بل مستعلماً
- يتساءل (..) عن السبب وهو يعرفه
- يتساءل (..) عن السبب وهو لا يعرفه
- يتساءل (..) عن السبب بوعي
- يتساءل (..) عن السبب بلا وعي

ولا شك أنّ في هذه الجملة الموضوعية تحكماً بقدر. ولا ريب أنّ في سياقاتها نقصاً من نوع ما . ولكنني أرجو ان تكون ، على العموم ، محل قبول لدى أبناء العربية . فاذا كان ذلك كذلك فإنه يمكن لي ان أقرّر ان وقوع الحال نفيًا يشبه ان يكون قياساً ، لا يعترضه الا ما يعترض غيره من الاقيسة بين الممكن ، على مستوى النظر ، والمستعمل ، على صعيد الواقع ، وتلك هي الإشكالية التي لم تعد مشكلة !

وقد تكون الحال المنفية لفظاً كالبدل عن الحال المشتملة على النفي دلالةً . وذلك تعاقب (نجهل) و (لا ندري) في بيتي ندوى طوقان :

وسنمشي ونحن نجهل من يدفعا
في المدى وما سنلاقي
وسنمشي بما بعيداً ولا ندري
متى ينتهي الطريق الوثير (272)

وقد يعطف النفي على الاثبات ، فتقع الحال منفية معطوفة ، ومن ذلك :

- حديث انس رضى الله عنه : (مَأْلُوقَةٌ فِي الْحَرَّةِ يَسْتَسْقُونَ فَلَا يُسْقَوْنَ) (273) .
- وقول البديع : « الا تعجبون ممن ينام وهو يخشى الموت ، ولا يرجو الفوت » (274) .

- (272) وجدتھا ص 51
- (273) التجريد الصريح 28/1
- (274) شرح مقامات بديع الزمان ص 176
- (275) جريدة الدستور ، العدد 4314 ، ص 11
- (276) فيض الخاطر 1/10 وانظر مثل هذا أيضا في المرجع نفسه 84/10
- (277) التجريد الصريح 85/1 — 86

— وفي التصص المعاصر : « ثم أرسلت بناظرهما من خلال الخصاص تَرَى ولا تُرَى » (278)

ووقع التقابل بين جملة فعلية مثبتة وجملة اسمية خبرها تلك الجملة الفعلية نفسها بنفسية ، وذلك :

— وفي كلام أحمد أمين : « .. إن شئت فوازن بين ما يدرسه الطالب في المدارس الثانوية أو العالية في الأدبين ، فهو في الأدب الغربي يدرس شكسبير وأمثاله فيجد موضوعا شيقا (!!) يمثل حالة من الحالات التي تتصل بنفسه وتمس حياته الاجتماعية بقدرها ، قد صيغت في قالب فني رشيق ، فخرج من الدرس يحبها ويحب موضوعها .

أما في الأدب العربي فيدرس مختارات من جرير والنزديق والأخطل أو مختارات من مقامات البديع والحريري أو نحو ذلك ، وهذه كلها لا تمثل ناحية اجتماعية يحياها أو ما يقرب منها ، ولا فكرة عميقة حللت تحليلا (279) واسما ، لذلك يخرج منها وهو لا يحبها أو على الأقل يكون على الحباد منها » (279) .

وجاءت الحال جملة اسمية خبرها جملة فعلية منفية بأزاء جملة اسمية خبرها جملة فعلية مثبتة على لتماثل وإمكان التبادل ، وذلك :

— « وكان يتحصنها بنظر ثابت ، فأيقن أنها تجاذبه الحديث وهي لا تدري ، أو وهي تدري » (280) .

وجاءت شبه جملة على الإثبات والنفي معا ، وذلك :

— « .. وقال وكرر القول — بداع وبلا داع — إن أسبابهما قد انقطعت الى الأبد » (281) .

ويخيل إلي أن النفي والإثبات ، من جهة وقوعهما حالا ، سيان ؛ ذلك أنهما يخضمان لمثل الشروط المتقدمة. ولعل مما يؤيد أن الإثبات كالنفي ، نفس الحال ، أننا لو رجعنا الى الأمثلة التي وقعت فيها الحال منفية ورددناها الى الإثبات ، على وجه التحكم ، لوجدنا الإثبات في كثير منها مستهجنا .

ومن أمثلة ذلك ، وهي أمثلة نستخرجها مما تقدم ونسوقها على وجه المقابلة :

(1) النفي : « تطع حانظ مراحل عمره على هذا المنهج البوهيمي لا يدخل في نظام ، ولا يصبر على جهد .. » (282) .

(* الإثبات : « تطع حانظ مراحل عمره على هذا المنهج البوهيمي .. يدخل في نظام .. »

(2) النفي : « كان يزرع محاصيل الشتاء في الصيف والشتاء يعمل على مدار العام لا يكمل ولا يفتر » (283) .

(* الإثبات : « كان يزرع محاصيل الشتاء في الصيف والشتاء يعمل على مدار العام .. يكمل .. »

(3) النفي : « اندفعت ففتحت باب السيارة وألقيت بنفسي منها ، ويدي بيد يعاد لا تركها » (284)

(* الإثبات : « اندفعت ففتحت باب السيارة وألقيت بنفسي منها ، ويدي بيد يعاد .. تركها »

(4) النفي : ولكن طيفك كان يغيب وراء المدى صامتا لا يجيب (285)

(* الإثبات : ولكن طيفك كان يغيب وراء المدى صامتا .. يجيب

(282) المختارات السائرة 242

(283) بندرشاه صو البيت 134

(284) الوقائع الغريبة 181

(285) وجدتها 34

(278) زقاق المدق ص 137

(279) فيض خاطر 15/10

(280) زقاق المدق 140

(281) زقاق المدق 232

الى ذلك القول في سعة المتغيرات التي تلابسه نسي
موقف الاستعمال .

ويدفع هذه الدهشة بصورة حاسمة ما نعرف
من أمر القياس في العربية . وذلك أن الظاهرة قد
تدخل في حد الغلبة حتى يستوي لها قياس لا مرأى فيه
ولكن بعض أمثلتها يظل خارج دائرة إلاف والسماع .
ومن ذلك ، مثلا ، أن (مفعول) قياس في اسم المفعول
من الثلاثي ، ولكننا نصاب بمثل تلك الدهشة من قول
أحدهم : مجموع !

بل إن وقوع الحال مثبتة في بعض الأمثلة
النمطية أو الموضوعية على وجه التحكم يبيِّن
مستهجنا غير سائغ ، ويكون النفي هو الوجه كأنه
لا وجه غيره ، وذلك في مثل قولنا :

— صَدَّ (٠٠) لسيف الجلاد لا يرف له جفن ؛
فلو أن أحدا جاء بجملة الحال على الإثبات ما استقام
له ذلك بل كان استهجان الإثبات هنا أشد من
النفي في قولنا المقتضب : جاء لا يبكي .

ويبدو لنا من وجه مقابل في طرح المسألة أنه
لو عرضنا امثلة الحال المنفية مما تقدم استقصاؤه
في النصوص وأستطنا النفي منها لوجدنا مجيء الحال
مثبتة في كثير من تلك الأمثلة مستهجنا تماما .

(5) النفي : « تفتح زودها لمئات العصافير الزائرة
لا تبخل على واحدة بخيمة ظل .. أو سرير ورق
أخضر » (286)

(*) الإثبات : « تفتح زودها لمئات العصافير
الزائرة .. تبخل على واحدة بخيمة ظل .. أو
سرير ورق أخضر » .

وهذا غيظ من فيض ، نجتزئ به بجانبه
للتكثر والإطالة .

خاتمة :

وربما يظهر للقارئ العربي ، وقد فرغ من
عرض القضية ووقف على أمثلتها في الاستعمال ، أن
المسألة ، مسألة وقوع الحال نفيا ، مفروغ منها ،
وأن التحقيق فيها من لزوم ما لا يلزم . ولكن الحق
أن المسألة تبدو للخاطر الأول وفي حدود ضيقة من
التحكم ، على وجه المتابلة ، قابلة لرجع النظر
تحقيقا .

وهكذا تتبدد الدهشة العابرة التي نعتري
السامع لملاحظة أن الحال لا تقع منفية في قولنا : جاء
.. لا يبكي ، حين نضمه على وجه التحكم بازاء : جاء
.. يبكي ، أقول : تتبدد تلك الدهشة إذا نحن نظرنا

ثبت المصادر والمراجع

أ - في القواعد :

الفعل : زمانه وأبنيته ، لإبراهيم السامرائي ، بغداد 1386 - 1966 .

في النحو العربي (قواعد وتطبيق على المنهج العلمي الحديث) : لميدي المخزومي ، الطبعة الأولى ، القاهرة 1386 - 1966 .

كتاب سيويوه ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون ، القاهرة 1966 - 1975 .

مذكرات في قواعد اللفظة العربية ، لسميد الإنفاني ، الطبعة الثالثة ، مطبعة جامعة دمشق .

كتاب مشكل أعراب القرآن ، لمكي بن أبي طالب القيسي ، تحقيق ياسين السواس ، دمشق ، 1394 - 1974 .

مفني اللبيب عن كتب الأعراب ، لابن هشام ، تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمد الله ، مراجعة سميد الإنفاني ، دار الفكر الحديث - لبنان .

المفصل : للزمخشري ، طبعة (بروخ)

المقتضب ، للسبرد ، تحقيق محمد عبد الخالق عضية ، القاهرة 1385 - 1388 .

النحو الوافي ، لعباس حسن ، دار المعارف بصر ، الطبعة الثانية ، 1963 .

جمع الهوامع شرح جمع الجوامع ، للسيوطي ، الطبعة الأولى 1327 هـ .

ب - في النصوص :

أحوال التربية والتعليم في الأراضي المحتلة ، أعداد بكر تنيرة ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، القاهرة 1973 .

أسرار العربية : لابن الأنباري ، تحقيق محمد بيجة البيطار ، دمشق 1377 - 1957 .

الأصول في النحو ، لابن السراج ، تحقيق عبد الحسين الفتلي ، النجف الأشرف 1973 .

الأمالي الشجرية : لابن الشجري ، حيدر آباد 1349

أوضح المسالك إلى الفية ابن مالك ، لابن هشام ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية ، القاهرة : الطبعة الرابعة 1375 - 1956 .

بدائع الفوائد : لابن تيم الجوزي ، إدارة الطباعة المنيرية بصر .

التوضيح والتكميل لشرح ابن عقيل ، لمحمد عبد العزيز النجار ، القاهرة 1386 - 1966 .

خزانة الأدب ، للبغدادي ، المكتبة السلفية ، القاهرة ، 1349 هـ .

شرح الأشموني ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، الطبعة الأولى 1375 - 1955 .

شرح شذور الذهب ، لابن هشام ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية ، القاهرة الطبعة الثامنة 1380 - 1960 .

شرح قطر الندى وبل الصدى ، لابن هشام ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية ، القاهرة ، الطبعة الماثرة 1381 - 1961 .

شرح الكافية ، للرضي الاسترابادي ، 1275 هـ